# مأزق كتابة تاريخ العالم العربي الحديث والمعاصر
## -نقاط في المقاربة التاريخية-

نورالدين ثنيو*

يستند المؤرخ العربي في بحث ومعالجة تاريخ العالم العربي الحديث والمعاصر إلى اللحظة التي يعيشها وينطلق منها كذَات تحاول أن ترتِّب وتنظِّم موضوع التاريخ. فالذات مع الموضوع يمثلان علاقة عضوية لا يمكن فَصْم عُراها وإلاَّ ضاع المطلوب برُمَّته. والغالب أن المؤرخ العربي يستند إلى تاريخ لم يَسْتَوفِ المدى الطويل حسب مفهوم فرنان بروديل (Fernand Braudel (1902-1985 الذي يُؤمِّن إمكانية استقرار المؤسسات لتنتمي بدورها إلى التاريخ والتراث المشترك للأمة والإنسانية. فاللحظة العربية الراهنة لا تتوفر على رصيد يمكن البناء عليه وإدراجه في حلقات التاريخ الحديث والمعاصر للعالم العربي.

شهد تاريخ العالم العربي، كما تَشَكَّل في العصر الحديث، لحظات وحِقب انقطاع وعدم تواصل أكثر من أزمنة استقرار وتواصل، فاتت عليه، من ثم، إمكانية كتابة تاريخه الخاص، من قِبَل مؤرخيه وباحثيه في قضايا العلوم الاجتماعية والإنسانية. ما تبيّن، بداية من تاريخ ما عرف بعصر النهضة العربية، أن العالم العربي مثَّل منطقة جيو- سياسية وإستراتيجية للقوى الغربية والإقليمية أكثر مما مثّل كيان ذاتي فاعل تراكمت تجربته من تلقاء نفسه. ولعّل الشَّواهد أكثر من أن تُذْكر لتوضيح حالة الانقطاع وعدم التواصل، حيث اجترحت النهضة العربية مشروعها ضدّا على الاستعمار ومع حضارته ومَدَنِيَّته، فالآخر كان الخَصْم والمُحْتَذى به. ثم جاءت لحظة الخروج عن الحكم العثماني، في ذات اللحظة كان يعني ذلك بناء القومية العربية التيّ توكأت على اللغة العربية لتشكيل الكيان العروبي الحديث والسَّعي به نحو الانهيار، حاولت بعد ذلك الحركات الإسلامية وأحزابُها استئناف بناء الدولة الإسلامية ضدّا على النزعة القومية والغربية أيضا ... ولكن.

وعليه، بناء على سيرورة التجارب المتقَطِّعة الأوصال وغياب التواصل، أفضى الأمر كله إلى حالة من الانهيار الشامل، على ما نلحظ ونشاهد في غير بلد عربي، يدفع إلى

(*) كاتب و أكاديمي الجزائر.

القـول بأن الكتابة الـتاريخية العربيـة تعاني مأزقا حقيقـيا لا يَنِي يتعمق مع طول دوام الحـروب والثـورات و المحن[١] . إن شرط الكـتابـة التـاريخيـة هو اسـتقرار مؤسسات الـدولة العربـية ودوامها الطـويل كأفضل سبـيل إلى وضـع الإشكاليات العلمـية سواء لكتابة التـاريخ أو مشاريع التنمية العـامة. ونحاول أن نوضح مأزق كتابة تاريخ العالم العربي الحديث والمعاصر على النحو التالي:

– نتحدّث عن عالم عربي قائم في تصور العرب لكن نكتب في الغالب تاريخ لأقطار عربية غير مستقرة.

– مأزق الكتابـة التاريخيـة العربية لهـذا العالم العربي الحـديث يتحدد بالـزَّمن الغربي أي أنه يعيـش زمن غير زمنه، وانما يجـاور مسار تـاريخي غربي أوروبي أمريكي. فقد دخلت أوروبـا العصر الحديث بناءً على حل إشكاليات القضايا التي طرحتهـا الحداثة، مثل المـسألة العـلمانية، قضيـة العلم ومناهـجه الوضعية، تكريس بناء الدولة/ الأمة والاحتكام إلى دستور الأمة كمرجع قائم في المجتمع وليس خارجاً عنه ولا ينظر إلى سلطة تعـلو عليه... كل هذه الإشكاليات لم تحسم ولم تُحَل في عـالمنا العربي، ما يعني هامشيته في العـصر الحديث وغياب الوعي بكيانه المستقل والخاص به، فالعالم العربي موجود بـالآخر ومعه ولم يكتفِ بذاته إطلاقا، ومن هنا صعوبة كتابة تاريخه الحديث والمعاصر. وعليه، فإن المفارقة التي يعاني منها تاريخ العالم الـعربي المعاصر هي أنه زاخر بـالأحداث والوقائـع التي حددت مصير الدول الكبرى وزادت من عظمة كـثير من الدول التي تدخلـت في مشكلة الشرق الأوسط في كل تعقيداتها وأبعادهـا، فيما بقيت البلدان العربيـة لا تستقر على حال وضَيَّعت كل فرص كتابة تاريخهـا الخاص. المنطقة العربيـة عمق جغرافي وسياسي واستراتيجي، منه يكتب تاريخ العلاقات الـدولية لكنه لا يعود على بلـدانه لا بالتكتل الوحدوي ولا بالكـتابة التاريخية القارة والمعقولـة، كل شيء يؤول إلى المَحْو وإعادة الكَرّة من جديد دونما تراكم معرفي ولا سياسي.

ما يجـري اليوم هو تعـبير عن تاريخ فاسـد ساد المنطقـة العربية طـوال تاريخها الحديث والمعاصر. ولعلّ السؤال الذي يطرح دائما هو لماذا أخفق العرب في الذي حققه غيرهم[٢] ؟ فسؤال التـنمية الشاملـة والقَارَّة لا يزال ينتـظر الجواب، وجوابه صعب لصعوبة وجود المادة العلمية والتاريخية التي تجيب عليه بشيء من الفهم والمعقولية.

– الـوجه الآخر الذي يكـشف عن الكتابـة العصية لتـاريخ العالم العربي الحديث و المعاصر هـو اللغة العربيـة المتداولة لحد الآن و الـتي يُعَبِّر بها العرب عن وجودهـم، فهي لا تفي بالغرض الضروري لعدم تحَرُّرهـا من سطوة النظام الحاكم، ومن حالة إجهـاز الخطاب الرسمـي عليها و حصرها في مـفردات الحزب الحاكم، أو

الزعيم أو الأسرة ... فضلا على اقتصارها على الدين و الأدب و الفن ... و قلّما تصل إلى تَغْطية الوضع الاقتصادي في كافة مستوياته و أزماته بحيث تُفْصِح أن المسؤوليات و تُرتَّب العقوبات السياسية و القضائية، أي غياب الاقتصاد كسلطة سياسية تساعد على فهم التاريخ و كتابته.

ما يؤكد ضعف الصلة بين اللغة العربية[٣] في علاقتها بالكتابة الموضوعية الرصينة للتاريخ العربي الحديث والمعاصر، هو أن أهم المراجع والمصادر[٤] المعتمدة في البحث العلمي هي تلك التي أعدت بلغات أجنبية فرنسية وإنجليزية ... خاصة الأعمال الموسوعية التي ترصد التاريخ الشامل والعام وتَكْشف الجهد العربي قياسا على جهود الأجناس الأخرى.

**خطوات لاستعادة لحظة كتابة التاريخ العربي**

صفوة ما يمكن أن يقال في هذا الصدد، أن محاولة كتابة تاريخ العرب الحديث تنطوي على مجموعة من المفارقات يجب تَخَطِّيها على مستوى التمَثُّل وعلى صعيد البحث الحقيقي في التاريخ كما جاء فعلا، دونما انخراط في مهمة سياسية وتلبية دعوة حكومية أو تبني خط إيديولوجي مارق. وعليه، نعتقد أن أهم خطوات ومقاربات لاستعادة لحظة كتابة تاريخنا العربي الحديث والمعاصر أن تتم على النحو التالي:

- استحضار كافة الوقائع والأحداث والأفكار التي أغنت التجربة العربية الحديثة في تقاطعها مع الأفكار الكبرى التي عبّرت عن العصر الحديث والمعاصر.
- إعادة الاعتبار التاريخي والمعنوي للبرجوازية العربية في صلتها بالأتراك وبالفرس وأصولها المحلية الدينية والطائفية، فضلا عن صلتها بالوجود الأوربي في البلاد العربية أو في المتروبول.
- التوكيد على حملة نابليون على مصر وبلاد الشام كأهم بداية لتاريخ العرب الحديث والمعاصر وإعادة تقييمها بشكل ايجابي، كما تقضي به طرق ومناهج البحث العلمي[٥] . هذا جانب، أما الجانب الآخر من أهمية حملة نابليون، فهو ما تمخض عنها من بناء الدولة المصرية الحديثة من قبل محمد علي باشا الذي لم يكن مصريا. فعندما تكون الدولة هي بداية الحداثة العربية يصبح للتاريخ العربي الحديث والمعاصر معنىً لأن التاريخ الحديث يكتب في جانب كبير منه من طرف الدول، وأن ظاهرة الدولة هي الأكثر اعتبارا وأهمية في التدليل على الحدث والواقعة، خاصة بعد تَنَوّع المجالات وتعدد الميادين والعلوم. وعليه، فثمة علاقة متينة لا تَنِي تتَمَتَّن بين الدولة وكتابة التاريخ. وفي الحالة العربية، نجد ضعف الدولة العربية متأتي من عدم انخراطها في التاريخ، وانزياحها إلى الهامش، ويعني ذلك صعوبة

كتابة تاريخها وفهمه.

– التوكيد على دور العرب في الحرب العالمية الأولى واعتبار ذلك لحظة انخراطهم في التاريخي المعاصر عندما يعني بداية التاريخ الإنساني الجديد. فالعرب في هذه الحالة جزء من تاريخ العالم الذي سوف يظهر قيمة وأهمية هذه المشاركة[٦] .

– قراءة تاريخ الحركات الوطنية والإصلاحية العربية في ظل رؤية عالمية تُصَحِّح مسار الحضارة الغربية التي آلت إلى الاستعمار وتنصَّلت من عصر التنوير ومُثُل الثورات الكبرى في أوروبا التي أرْسَت حقوق الإنسان والحريات العامة وروح العدالة والإنصاف. و المثال الذي يمكن أن نسوقه في هذا الصدد، هو الثورة الجزائرية[٧] التي تعد واحدة من أعظم ثورات القرن العشرين التي رتبت تداعيات على تاريخ الجزائر وفرنسا[٨] والعرب[٩] والعالم[١٠] وخاصة في إعادة النظر في مفاهيم الاستعمار والاستقلال وتقرير المصير والثورة ... لكن كل شيء بَهَتَ بعد مرحلة الاستقلال، حيث انقطع التواصل مع تاريخ ما بعد الكولونيالية[١١] كمرحلة لاحقة عن الاستعمار، فقد شهدت الجزائر و بعض البلدان العربية التي قاومت الاستعمار الغربي عودة ما أطلق عليه المفكر المصري أنور عبد المالك(١٩٢٤–٢٠١٢) بالاستعمار الوطني، حيث استندت السلطة القائمة على القوانين الاستثنائية و أنظمة الأحكام العرفية و حالات الطوارئ، الأمر الذي عطّل إمكانية الكتابة الموضوعية و العلمية للتاريخ العربي في ظل القوانين العادية و الأوضاع المستقرة و المراكز البحثية ذات الاستقلال العلمي.

– نقد المنظور القومي والمنظور الإسلامي لكتابة التاريخ العربي الحديث والمعاصر، لأن التاريخ في الوقت الراهن يكتب ويجري التفكير فيه في لحظة عالمية ومن خلال تصور " التاريخ العالمي "[١٢] .نقد المنظور الإسلامي، لا يعني نفي الدين في التأريخ وتفسير التاريخ بقدر ما يعني ضرورة تجاوز المركزية الإسلامية التي تحصر معنى التاريخ في رقعة الإسلام ورسالته كما يرد ذلك لدى الكُتَّاب الإسلاميين سواء التراثيين منهم أو في الزمن الحاضر. إن تاريخ الإسلام وتاريخ العرب لم يعد حكرا على العرب والمسلمين بقدر ما أن أهم من كَتَبَه هم الغربيون، ومن ثم يجب أن نستحضر، في عملية الكتابة التاريخية التاريخ الراهن بكل شعوبه وحضاراته من أجل توكيد الخط السليم لمعنى ما يكتب، و إلا صار كل ما يكتب عبارة عن بيان تندين أو تبجيل تحكمه الإيديولوجية و التطرف المذهبي بما يعني من قومية مغالية و نزعة دينية اقصائية و استحواذية. وتوكيدا لما سبق، فإنه مستبعد من الناحية العلمية أن تُوَظّف القومية العربية ونزعتها القائمة على اللغة لكتابة التاريخ بعد ما فشلت في إدارة وتسيير الدولة والمجتمع، كذلك لا يمكن تعليق الكتابة التاريخية على

الحركـات و التيارات الإسلامية بعد فشلـها في الوصول إلى الحكم و إدارة الدولة على أساس من الاستقرار و دوام المؤسسات.

– كتـابة التاريخ العربي بكل لغات العـالم، كما يجري في حياتنا المعاصرة، مع الاعتراف الحقيقي بـحولياتها وما تنتجه مراكز بحـوثها ومؤسساتها العلمية. إن اللحظة العالمية، أو ما يعرف بالعولمة، لحظة مناسبة لكي ينخرط العرب والمسلمون في كتابة التـاريخ في مستواه العـالمي خاصة مـنه البعد "المستـقبلي" أو الغائي، أي ما يمكن أن يفهم من الدين الإسلامـي لأن لغته لغة السماء، وكما يمكن أن ينظر إليه في المستقبل لأن رسالـته نبوية، بناء على التأمل الـفلسفي. قراءة القرآن والتأمل فيه، في اللحظة العالمية الفائقـة، يمنح إمكانية ظهور رؤية إلى مستقبل تاريخ الإنسانية، كما يساعـد على استخلاص سُنَن ونواميـس حركة التـاريخ وحضاراته ونمـط تعاقبها وتواردهـا منذ الأزل. ومسألـة التأمل في الدين مـن أجل كتابة التـاريخ ليست، مرة أخرى، حكرا على الـعرب والمسلمين، بل هـي إمكانية تـداول كافة اللغـات المؤثرة في التاريخ الراهن من أجل استخلاص معنى التاريخ في كل أبعاده.

**التاريخ العربي الحديث.. مع أو ضد الغرب؟**

لا بد من التحفظ على الطريقة التي يـتم بها فهم وبحث إشكالية الشرق والغرب التي تحكم رؤية كل واحد منهما حيال الآخر والسعي إلى ردم فجوة سوء التفاهم[١٣] التي سادت بينهما لقرون من الزمن. وإذا كان الغرب له إشكالياته وأسئلته واهتماماته في مسألة صلته بالعالم العربي و الإسلام[١٤]، انكب عليها كتَّاب وعلماء ومفكرون[١٥]، فإننا في الشرق يجب أن نستهل إعـادة كتابة التاريخ العربي الحديث وتجديد الرؤية والمنهج بصيـاغة جديدة لعلاقتنـا بالغرب الذي لم يعد غـربا[١٦] كما كنّا نتصور في عهود الأنـظمة العربية السلطوية التي كانت تعادي الغرب مفترضة وجود الاستعمار للتنديد به و صرف نظر "الرعايا" عن فساد "الحكم الوطني" وتاريخه.

ما من حـضارة، كما يرى شارل عيـساوي، إلا واتسمت بالعجـرفة والاشمئزاز من الأجنبي[١٧] . في تاريخ العـرب، هناك ما ينهـض شاهدا على عدم احـتِفالهم بالتراث المادي والأدبي للآخر والأجنبـي والدخيل حتى ولو كـانت راسخة رسوخ الجبال في ديـارهم، مثل الآثـار القديمـة التي تعـود إلى العصر البـابلي والفرعـوني والفينيقي والرومـاني ولكل الديـانات السـابقة على المسـيحية والإسلام ...فقـد ضيَّع المؤرخ العربي الكلاسيكي فرصة استيعاب بقايـا أثار ومعالم قديمة في الرصيد الحضاري والتاريخي للأمـة والبلد. أما في الوقت الراهن، فقـد اشتد الطوق على التاريخ العربي بسبب اضطلاع الغرب عبر المناهج والمقاربات العلمية إلى حد تأسيس علم قائم بذاته هو الاستشراق، وتمـكُّنه من استيعاب واحتواء الـشرق في تاريخه وجُغْرَافِيَّته، وليس

أخيرا في اسْتَرَاتيجِـيَّاته السياسية والاقـتصادية. فقد سعى الـغرب إلى تطوير علومه الإنسانية والاجتماعية بكشف واكـتشاف الثقافة العربية والإسلامية وديانات عالم الـشرق من أدناه إلى أقصـاه وصار لا مندوحـة للباحث، مهما كـان موقعه، أن يقرأ ويدرس الإنتاج العلمي الغربي حول العالم العربي والإسلام.

وعليه، فـقد تمَكَنّت المؤسسـات العلمية، الأكاديـمية والبحثية والجـامعية الأوروبية والأمريكية من تخطي الرؤية الدونـية ونفسية الازدراء حيال الشرق بشكل عام، ولا يزال يقترب منه في لحـظة مكثَّفة بـالعلاقات البينـية والاعتماد المتبـادل بين المناهج ومجالات العلوم فيما صار يعرف بعصر العولمة[١٨] . ونعتقد أن مجال العلم والمعرفة والبحث الأكاديمي هو أفضل مجال لكسر جدار سوء التفاهم بين العرب وغيرهم رغم وطأة البطانة الإيديولوجية والخطاب القومي الذي تئن تحته الجماهير العربية[١٩] .

إن السعي إلى تجـاوز الوضع الاستعماري[٢٠] ومخلَّفاته والوضع العربي السلطوي ونتائجه، مَهَمّة شاقة على صعيد الكتابة التاريخية الموضوعية والعلمية، ولا يمكن أن تـتسع لها بسهولة وسلاسـة كُتُب التاريخ التي تُقَرَّر على تلاميـذ وطلبة المؤسسات التعليمية على اختلاف مستوياتها[٢١] .

وهكذا، فقَـدَر البحث التاريخي، في العـالم العربي الحديث والمعـاصر أنه مضطر إلى اعتماد منهج المقارنـة بين تاريخ العرب والتاريخ الغـربي، خاصة منه تاريخ أوروبا وعلى وجه أدق تاريخ فرنسا وبريطانيا. ومبرر هذا المنهج أن العرب بدأوا نهضتهم في سيـاق اتصالهم بالحضارة الغربيـة، سواء على سبيل المحاذاة والتقليد أو على سبيل الرفض والمقـاومة. فقد كان الغرب ذا وجهـين، يُمْكن محاربته ويَمْكن محاورته[٢٢] ، ولعلّ هذا أيضـا ما أضاف إلى حـالة التَّعقيـد و الإرباك في كتـابة التـاريخ العربي الحديث في حقبته الاستعمارية.

وجه الإرباك في هذا التاريخ أن العرب واجهـوا تحديات عصر الحداثة في لحظة وجود الحضـارة الغربـية التي أوقفـتهم على وجود تَمَـاثل واخْتِلاف بيـنهم وبين أوروبا. ونَـذْكر على سبيل المثـال، أن عناوين العـصر العربي الحديث كـانت النهضة أي La Renaissance، وكذلـك الإصلاح La Réforme، الأنوار Lumières القـوميـة أو النـزعة الوطنية Le Nationalisme ... لكن مع فارق زمني امتد إلى قرون من زمن التنمية وملء المضامين بالنسبة لأوروبـا، بينما عبَّرَت النهضة العربية الحـديثة عن لحظة البداية ولم تتواصل إلى لحظة انجاز المؤسسات القارة التي تحصِّن و ترسِّخ الوجود العربي كفاعل حقيقي في حضارة الإنسان الحديث و المعاصر. ففي الوقت الذي تجاوزت فيه أوروبا العصر الـوسيط بما ينطـوي عليه من سيطـرة الكنيسة وخـرجت تماما من العصر السـكولاستيكي على رأي الفيلـسوف الألماني هيجل Friedrich Hegel -1770)

1831)، ومن عـالم المَقَدَّس والعجيـب على حد تعبير مـارسيل غوشي Marcel Gauchet (1946)[٢٣]، نجد أن العالم العربي واجه الحداثة وانخرط فيها مجايلا العصر الدِّيني والطُّقوسي والقَبَلي والعشَائري، ولم يحسم أمره بالقدر الذي يَخْلُص للتاريخ المعاصر في كافة مقتضياته وشروطه.

**الثورات العربية[٢٤].. نحو تاريخ آخر للعرب**

لم يَنْدرج نظام الحكم العربي في التـاريخ المعاصر بمعناه الكبير، ولم يسجل تاريخه الخاص الـذي يستـفيد منه العـرب وغيرهم. وهذا الإخـفاق هو الـذي يفسر اندلاع الثورات العربيـة في غير بلد عربي، حرصا منها هذه المرة، على إعادة صلة العرب، عبر نظـام الحكم، مع الشرعيـة الدولية وروح العـصر وربط الفرد بالقـانون في إطار من التعددية الثقافية والدينية والأخلاقية.

أكثر من عشر سنوات مرّت على بدايـة ما وصف بالثورات العربية، و هي كذلك لأنها حقـقت فعلا لحظة فارقة بين تاريخ سجلته أنظمة عربية سلطوية دامت في الحكم إلى أن انتهت و انهارت بأجهزتها و هياكلها، و لحظة أخرى، تحاول فيها الشعوب إعادة بناء شامل لمـا بعد هذه الثـورات. فقد مر أكثـر من عقد كامل، ولم يـستقر الوضـع العربي العام على مؤسسـات توحي بالثقة وبـإمكانية البنـاء على مؤسسات مُجْمع علـيها، يصعـب زوالها لاستيفـائها شرط الـشرعية والإرادة العـامة التي تـستبطن مصلحة الجميع، وأن الجـميع يجب أن يحْرص عليها لـوجود مصلحته في ذلك. لكن الحالة العامة لا تعبر بالضَّرورة عن حكم مطلق لوجود بداية انفراج بعض الدول مثل تونس، المغـرب، قَطَر..، واسـتمرار خيبـة بعض الدول الـعربية الأخـرى، سورية، العراق، اليمن وليبيا ومصر..

نُقَارب الموضوع في إطار إشكالية توضح أن الثورات العربية القائمة في غير بلد عربي جـاءت بسبب تلكُّؤ النظام العـربي السلطوي في تمهيد وإرساء الـديمقراطية كنظام حكم، اصطـدم بلحظة مستقبل لم يفكـر فيها ولم يَعِرْ لها بـالاً فباغتته من حيث لم يتوقع هو ومن حيث توقع المحَلِّـل والمثقف العربي والأجنبي. فسيرورة التاريخ جزء كبير منـه هو المستقبل الـذي يدرج كافـة المشاريع والبرامج في المـدى الطويل الذي يرسخ المؤسسات والمنجـزات... كما أننا نقارب موضوع الـثورات من ناحية أخرى، على أنها الحدث العـربي الذي يمثل فِعْل الحداثة العربيـة القادر على ترتيب تداعياته ومضـاعفاته وما بعده في كافـة تجلياته ومظاهره لأنهـا (الثورات) تفصح عن يقظة التاريخ[٢٥] بمعناه الكبير الذي يوَحِّد العـرب مع التاريخ العالمي العام. فحالة الثورة القائمة اليوم لها ما قبلها وسياقها وما بعدها، وتُشَكِّل المنعطف الحاسم لميلاد تاريخ آخر للعرب.

نحتاج لمقـاربة تجربة عشر سـنوات من الثورات العربيـة إلى الوعي بأن ما يجري ليس من تلقاء حالة واحدة أو جانب معين أو طرف واحد بالتحديد، بل الثورة العربية هي لحظة الحـدث الكبير الذي تشـابك وتَعَقَّد عنده الـوضع العربي وصار يعبِّر عن أزمة خطيرة تفرض قراءة مركَّبة ومنهج الاعتماد المتبادل بين العوامل التي شاركت في وجود الحدث. وبناء على هذه المقاربة، نحاول أن نرصد الطريق الذي يوحي بإمكانية الخروج من هذا المـأزق المُدْلهم، بناء على منطق الثـورات التي لا يفصل مسارها عما قبلها وما بعدها أيضا، ونكشف الربيع العربي على النحو التالي:

– في ثورات الربيع العربي، نحن بصدد إعادة بناء الدولة، وإعادة تصوِّرها على نحو لا يركِّـز حصرا على السيادة الـوطنية المطلقـة على ما سارت عليهـا تجربة النظام العربي السلطوي، بل نظـام آخر يأخذ باعتبارات الـلحظة العالمية في أبعادها السياسيـة والقانونية والاقـتصادية، وفي تصور تعـددي للثقافة والأخلاق والدين. فـمخاض الـثورة وسيـاقها وتـداعياتهـا ينحـو إلى عدم تملـيك الحكم في النـظام الجمهوري وعدم اطلاقيته في النظام الملكي.

– مـرور عشر سنوات على الـثورات العربـية يوحـي بالإصرار على تجاوز نظام حكم فاشل، وأن الثورة في مدلولها الحديث والمعاصر يجب أن ترتب لما بعدها إلى حين تستنفد هـدفها الرئيسي وهـو تغيير الحكم السلطوي العـربي وأثاره المتداعية. ففكرة الثورة لازمة لوعي العرب ويجب أن تتحقق لأن شرطها العالمي وسياقها الدولي والإقليمي موجود. ويكفـي قليلا من الوقت في هذا الزمـن الفائق لكي ننتهي إلى الأبد من النظام العربي المتـعَسّف الذاهب إلى غير رجعة. ولعّلنا، من باب المقارنة والمقاربة، أن نشير إلى ثورة ربيع براغ Prague عام ١٩٦٨، التـي قُمِعت في حينها، لكن حراكها الداخلي وفي الوعي الجمعي أفضى ليس إلى عودة المكبوت، أي الحرية والديمقراطية في الحالة التشـيكوسلوفاكية، بل إلى تحـرير كل أوروبا الشرقية من كـابوس الشمولية والنـزعة السلطويـة وتَكَلّس النظام الـشيوعي و إلى غير رجعة، حـتى في قلب النظام السوفيتي الـقطب الشرقي في ذلك الوقـت. المقارنة في هذا المجـال تقتضي منّا ضرورة الاعتراف أن مثـال أوروبا الشرقية نهاية القـرن الماضي قد استفادت من دعم وتوجيه القطب الغربي: أوروبا وأمـريكا والحلف الأطلسي، في مشروعهـا الرامي إلى استعادة جزء مهم من دُوَلِها التي فقدها النظام الرأسمالي بعد الحرب العالمية الثانية.

– ما يفسر استمرار الحراك الثوري السياسي منه والمسلح هو تعنت النظام العربي المُحْتَضر على المجازفـة بمؤسسات الدولـة والانتحار بها كشرط زواله على ما يحـدث في سورية، العراق، اليمن، لـيبيا.. وبتعبير آخر يـفيد ذات المعنى، أن الثورات العـربية في حراكهـا ميَّزت بين سلطـة الحكم في بنيته الـسياسية، وبـين مؤسسات

الدولـة، وأن المستهدف مـن الثورة هو نـظام الحكم في اللحظـة الأولى ثم إزالة آثاره الاقتصاديـة والاجتماعية في لحظة ثانيـة، وعلى العكس من ذلك اعتصم نظام الحكم بمؤسـسات وهياكل الدولة وسخّرها كلهـا من أجل إنقاذ نفسه، وهنا مكمن المعضلة التي فـسّرت طول مدة الـثورات وعدم اسـتقرارها إلى حـد الآن على الدولة الـوطنية الراسخة التي لا تزول بزوال الحكّام وتلكؤ ظهور الديمقراطية.

– الأنظمة العـربية التي ظهرت فيها الثـورات، وقد تظهر في بعضـها الآخر، تعَبِّر عن دول فاشلـة راسبة لا يمكنهـا مواصلة إدارة الشـأن العام، لأنها عبَّرت عن الخـاص والشخصي وما هـو عائلي وشِلالي وقَبَلي وعـشائري، وكلهـا منافيـة لماهية الدولة المـدنية الحديثة والمعاصرة ولا تسايـر إطلاقا روح العصر المتجه نحو التجريد والتنزيه لفائدة المؤسسات القارة والدائمة.

– نحن نعيش اليـوم، في العالم العربي، لحظة ما بعد الكـولونيالية وما بعد النظام العـربي السلطوي، وهي لحـظة تاريخيـة فارقة، من المتـوقع أن يتغير فيها التاريخ العـربي نفسه، على أساس أن الذي كتب التـاريخ العربي الحديث والمعاصر هـو النظـام "الرسـمي" العربي. وهكـذا، إذا كان الـعصر الكولـونيالـية ذهب غير مأسـوف عليه، ودون رجعة، فإن فضل الثـورات العربية الراهـنة، أنها تُوَقِّع الزوال التاريخـي للنظـام السلـطوي الـذي يجب أن يزول إلى الأبـد. والتَّعـرُّض للنـظام الكولونيالي والنظام السلطوي العربي الذي جاء على إثره يسمح، على مستوى المقارنة والمقاربة، القول بأن النظام الـسلطوي العربي كان إلى حد كبير استمرارا للأول وأن هنـاك أكثر من وجه شبه جمع بينهما إلى حد اعـتبار الثاني استعمار وطني على رأي المفكر المصري عبد المالك أنور.

**على سبيل الختام..**

– تطلعنا في هـذا البحث الى توكيـد أن تاريخنا العـربي الحديث والمعاصر يعاني مـأزقا على صعيد الكتابة من دون أن يعني ذلك نفي التاريخ برمته. وآية ذلك، أن المؤرخ العربي يعاني من لحظة غياب الاستقرار، أي أن اللحظة التي يمر بها اليوم هي انهيار النظام الذي كتب التاريخ العربي الحديث والمعاصر، أي التاريخ الرسمي، الآيل الـيوم إلى أن يحذف من البرامج التعليمية كجزء من تـصفية السلطوية العربية، مثل ما تم تصفية الاستعمار.

– ما يفصح عن مأزق الكتابة العربية هو افتقار المؤسسات التي قامت بعد عهد الإستقلالات العـربية إلى المدة الطويلـة حسب المعنى البروديلي Braudelien التي تعد الشرط اللازم لوجود مـادة التاريخ التي تحفظه، مثلـها مثل الأرشيف في الدولة القوميـة الحديثة. إن حالـة الانهيار التي تتعرض لهـا الدولة العربيـة بصورة عامة

تكشف عن فشل وإخفاق نموذج الدولة – الأمة الذي تَأَبَّت عن التوطين في العالم العربي، ومن ثم ضاعت فرصة اعتماد المؤسسات الراسخة كأفضل ضمان لكتابة وإعادة كتابة التاريخ العربي الحديث والمعاصر.

– الجانب الآخر الذي يشير إلى مأزق كتابة تاريخ العالم العربي الحديث والمعاصر أن البحوث والدراسات فيه أُحكمت بلغات أجنبية وصارت المرجع الأساسي لأي محاولة لكتابة هذا التاريخ، ولعلّ الإشارة إلى حالة بلدان المغرب العربي ومنها خاصة الجزائر، فيه ما يؤكد ذلك.

– أخطر مظاهر هذا المأزق، أن تطور بعض الدول الإقليمية مثل تركيا وبعدها إيران سوف يقلص الحيز التاريخي للعرب، خاصة عندما تتبنى تركيا سياسة التواصل مع تاريخها في الأقاليم العربية زمن الخلافة العثمانية، وما سوف يرشح إيران أيضا، بعد رفع الحصار الدولي عليها لتنسج من جديد علائق مع قومياتها الدينية في العالم العربي.

– هذه الحالة الأخيرة يقابلها للأسف، حالة أخرى في أوروبا وربما في أمريكا غدا، عندما نلاحظ دولة مثل فرنسا يدرج اليوم وجود العرب والمسلمين لأكثر من قرن على أراضيها ضمن سجل تاريخها الخاص، أي أنها صار لها عربا ومسلمين، ليعبر عن تنوع وثراء الوجود الإثني و من ثم ثراء و خصوبة تاريخها الحديث و المعاصر، فضلا على أنها تكتب، إلى حد السيطرة، على تاريخها الاستعماري الذي يمتد إلى بلدان ما وراء البحار، و منها بطبيعة الحال بلدان عربية.

– ما ورد في هذا البحث من ملاحظات وأفكار لا تدفع إلى إنكار التاريخ العربي، خاصة منه تاريخ الحركات الوطنية المعادية للاستعمار والوعي بقيم الاستقلال، الحرية والعدالة والحق ... التي رافقت مشروع بناء الدولة الأمة. والحقيقة، أن تاريخ الحركات الاستقلالية العربية هو التاريخ الذي يتواصل معه العرب مع التاريخ الشامل أو التاريخ العالمي الذي صار اليوم يحدد وجود أو غياب الكيانات الفاعلة في الحضارة الإنسانية.

– وجود استوغرافيا وقائمة بيليوغرافية عربية من الكتابات والبحوث التي تؤرخ لتاريخنا الحديث والمعاصر، غير كافية لوحدها بقدر ما يجب أن تتجاوب وتتواصل مع مراكز دراسات وبحوث أجنبية، وهو ما بدأنا نلاحظه في السنوات الأخيرة، بعدما توزع بشكل ملفت، الباحث العربي بين المؤسسات العلمية والبحثية في الداخل العربي والخارج الأوروبي والأمريكي.

– أخيرا، ولعلّه أولا، إن مبحث الطريق إلى كتابة التاريخ العربي الحديث والمعاصر، كما حاولنا أن نعالجه في هذا البحث، ما يؤكد على أننا لسنا على حافة

اليأس، بقـدر ما أننا نحتاج إلى تَلَمّس روح جديدة و تصور آخر من أجل إعادة كتابة هذا التـاريخ تواصلا مع المـاضي و تفاعلا مع التـاريخ العالمي. المـأزق لا يشير إلى الاستحالة.

## الهوامش

١– من جملـة الانقطاعات الـتي حدثت في تاريخ الـعرب المعاصر، هزيـمة حزيران/ يوليـو ١٩٦٧، وكانت بمثابة الانهيار الـكبير الذي أيقظ الوعي العربي على أن العرب ليسوا كيانا حقيقيا استوفى حق شرعية الوجود ضمن دول وأمم العالم الحديث. وهي الهزيـمة التي مكَّـنت من جانـب آخر إسرائيل من تـرسيخ حق وجودهـا في المنطقة العربية. فقد كانـت مرحلة ما بعد النكسـة الكبرى مرحلة اضطراب عقلي ونفسي على حد تعبـير المؤرخ البير حـوراني، وكل ما جـاء بعد الحـدث المُدلهم في حيـاة البلدان العربية صـار غير مفهوم، مبهم ومـربك، كشف عن ضيق أفق وعـدم قدرة الحكام العرب على إدارة السلـطة بناء عـلى دولة المؤسسـات، لا بل " كانت سيـاستهم غداة الاسـتقلال، كما يرى ألبير حـوراني، تمديد رقـابتهم على السـلطة المركـزية وبسط هيمنتهم على الثقافة العربية "، ومن ثم غلق أي إمكانية لتحرير المجالات والفضاءات التي تفرزها سيرورة الحداثة والتاريخ العالمي.

Albert Hourani, histoire des peuples arabes, (Paris : Editions du Seuil,1993), p.569.

٢– كثير من الدول التي تقاطعت مصـالحها أو حققت مصالحها مع البلدان العربية وخاصـة في الأزمة الـدائمة لـلشرق الأوسط، خـرجت من شرنقـة ونواة الحـداثة السياسيـة وأسست لنفسهـا دولة قارة ودائمـة لا تزول بزوال الحـكام. والحقيقة الأخرى التي تؤكد ما نذهب إليـه، هو دولة إسرائيل التي نشأت وتطورت وقويت من رحـم الصراع الدائـر في منطقـة الشرق الأوسط والـذي أسعفها في تـرسيخ كيـانها والمبادرة إلى كتابة تاريخهـا الخاص بناء على قوة وجودها في المنطقة ومن ثم حقها في كتابة تاريخهـا. ولعلّنا لا نبالغ إذا ما أردنـا أن نكتب تاريخ الشرق الأوسط الحديث والمعاصر بأنه تاريخ حفظ وحماية " واجب " وجود إسرائيل ولو بتأخير نشأة العرب كدول ثـابتة وآمنة. وهناك تـوجهٌ في الدراسات التاريخيـة في إسرائيل لدى من عرفوا بالمؤرخين الجدد، يذهب إلى حد الاعتراف بفساد أصول قيام دولة إسرائيل كسبيل إلى احترام أخلاقيات التأريخ والواجب العلمي الذي يجب أن يتحلّى به المؤرخ.

٣– الحقيقة الـتي يجب أن تقال ويُصْـدَع بها أمام الخلق أجمعـين هي أن مع تزايد التنمية والتطور الاقتصـادي وازدهار المال والأعمال، على ما يحدث في بلدان الخليج العربي، تضعف تبعـا اللغة العربيـة كمقوم للذات والهويـة، ولعلّ مثال دولة اتحاد الإمارات العربيـة التي شـهدت طفـرة في التنميـة الاقتصاديـة دونما تواصل سليم ومتناسب مع اللغـة العربية التـي يجب أن تغطي كافة المجـالات التي ازدهرت فيها الحياة، لا بل صارت تلح أكثـر على اللغة العربيـة كحاجة لغير النـاطقين بها. وكأن موضوع اللغة مطروح على عرب في غير ديارهم، أو مهاجرين تقطعت صلتهم بالبلدان الأصلية ويحاولـون استعادتها عبر اللغة كتراث وليس كلغة تداول اجتماعي وفكري تكشف عن هوية متحققة، تتطور مع حاجة الدولة والمجتمع والعالم.

٤– يندرج ضمن المصـادر والمراجع التاريخية الأرشيـف، أي الوثائق الأصلية التي تعود إلى العصر أو العهد الذي صدرت فيه. وجـزء كبير من غياب الرصانة العلمية في كتـابة تاريخ العـرب يعزى إلى غياب بـنايات الأرشيف الـتي تقدم المادة الـوثائقية والمحفوظات بانتظام ومهنـية تساعد فعلا على التواصل مع البحث التاريخي العلمي الذي يراكم المعرفـة التاريخية المعقولـة. وإذا أخذنا على سبيل المثـال حالة الجزائر، فإنها تعاني محنة حقيقية أو مأزقاً يصعب الخروج منه، لأن الإنتاج في مجال البحث التاريخي يعتمد أول ما يعتمـد على الأرشيف الموجود في فرنسا، كما عمدة الدراسات في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية هي من وضع فرنسيين، ناهيك أن تاريخ الجزائر القديم وضعه حصرا فرنسيون. وعليه، فالمحنة التاريخية في الجزائر هي عدم امتلاك الباحث الجزائري إمكانية السيطرة على كتابة التاريخ من خلال إشكاليات توحي بها مـصادر ومراجع ووثائق أرشيفية جزائرية. نذكر على سبيل المثال، أن أهم كتاب على الإطلاق وضـع حـول جبهة التحـرير الوطـني، التنظيـم الذي خاض حـرب تحرير الجزائر من الاستعـمار الفرنسي، كان من تأليف الفـرنسي جلبير منييه، و لا يبدو أن الإستوغرافية القادمة تستطيع أن تتجاوزه، أنظر،

Gilbert Meynier, histoire intérieure du FLN, 1954-1962,(Alger : Casbah-Editions, 2003).

٥–أنظـر الدراسة المهمة التي أفـردها الباحث المعروف هنـري لورانس حول العرب، التاريخ، حملـة نابليون على مصر والشـام، والاستعمار والشرق.. في سفره الضـخم: شرقيات (Henry Laurens, orientales, ( CNRS Editions, Paris : 2004) .

٦– لم يُولِ العـرب أهمية تذكـر للحرب العالميـة الأولى، لا على مستوى الـتنويه بها بمنـاسبة الاحتفالات و لا على سبيل استعادة ذاكـرة العرب الذين شاركوا فيها، و لا على صعيد الكتـابة التـاريخية و البحث الأكـاديمي، ربما المنـاسبة الـوحيدة التي تستحق الذكر في مـوضوع كتابة و بـحث تاريخ العرب في صلتهم بـالحرب العالمية

الأولى، هـي الندوة الدولية التي نظـمها المركز العربي للبحـوث و دراسة السياسات، كانون الـثاني ٢٠١٤ . وقد صدرت أعمال المؤتمر في جـزأين: مجموعة مؤلفين تحت إشراف وجيه كوثراني، مئة عـام على الحرب العالمية الأولى، مقاربـات عربية، (المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة/ بيروت، ٢٠١٦) .

٧- يحتـاج تاريخ الثورة الجزائرية إلى إعادة قـراءة ليس من قبل الجزائريين فحسب، بل من كـافة العرب وبـالمقاربة العـربية التي تتـواصل مع التاريخ العـربي الشامل. فالثـورة الجزائرية لم تدخل في الوعي العربي لتتواصـل معها كثقافة عربية حديثة، لا بل كثير من البلدان لا تدرجها في مقـرراتها التعليمية كحدث مؤسس للثقافة التاريخية الحديثـة، فضلا على جهل أجيال عربية كاملة بحـدث الثورة التحررية الجزائرية. كما أنه من الجانـب الجزائري، لا يزال يسيطر الـوهم والسراب على الثورة وخاصة الحزب الـذي قادها جبهة التحرير الوطني الذي مـن فرط ما أخفق في بناء الدولة ومؤسساتها على أسـاس من الشرعية والصفة القانونية، دعـا البعض إلى إعادة النظر في قيمة الثورة والوهج الذي حـام حولها، وأنها لم تكن بذلك الاعتـبار والأهمية الذي صورّت به. فقد غلب الجانب الإيديـولوجي، الدعائي والزخم الثوري على الحقائق التاريخية. والحقيقة التي لا تـزال ماثلة أن الثـورة التحررية الجـزائرية هي بـالمعنى الذي تعـاملت معها الكتابـات الفرنسية والطريقة التي سجلـت بها الوقائع ونوعية السرد الذي رويت به في وسائل الإعلام لأن المادة العلـمية والإعلامية والأرشيفية والوثائقية لا تزال فرنسية في أغلبيتها، و من ثم فهي تروي الثورة أو حرب الجزائر كتاريخ فرنسا في الجزائر. ولمزيد من الـتوضيح، يمكن العـودة إلى، نورالديـن ثنيو، الذاكـرة والشـهادة في كتـابة تاريخ الثورة الجزائرية (١٩٥٤-١٩٦٢)، أسطور، عدد٢، تموز/ يوليو ٢٠١٥ .

٨- من الكتب المهـمة التي ظهـرت في الآونة الأخيرة، كتـاب الباحث الأمـريكي تود شيبار: ١٩٦٢ ، كيف حـوّل الاستقلال الجزائري فرنسا، حيث يؤكد عبر التحليل و النقـد على قوة فعل الثورة الجـزائرية في تغيير الحـياة السياسـية الفرنسـية ما بعد الاستقلال و استمرار ذلك إلى اليوم، أنظر، Todd Shepard, 1962 comment l'indépendance algérienne a transformé la France, (Paris : Payot & Rivage, 2012).

٩- مـعروف أن الثورة الجـزائرية جـاءت وتواصلت مع خـط المطالبـة بالاستقلال وتصفيـة الاستعمار، نذكر على سبيل المثـال صلة الثورة بالاعتـداء الثلاثي فرنسا، بـريطانيا وفرنـسا، على مصر بسبب أقـدامها على تأميم قنـاة السويس عام ١٩٥٦ ودعمهـا للثورة الجزائرية، حيث تحوّلت مصر إلى مقـرّ القيادة السياسية الجزائرية، كـما أن الثورة عجّلت باستقلال تونس والمغرب الأقصى بقصد تركيز القوة الفرنسية على الجزائر للحيلولة دون الاستقلال والتحرر.

١٠- لا ريب، كما صرنا نعرف في التأريخ للاستعمار وما بعده، دور الثورة الجزائرية في استقلال العديد من الدول الأفريقية، فقد كانت ستينيات القرن العشرين منعطفا حاسما في بداية تاريخ تصفية الاستعمار، وكِتَاب تود شيبار المشار إليه (هامش٨) عنوانه الأصلي إبداع تصفية الاستعمارThe invention of decolonization.

١١- حول كتابة تاريخ الاستعمار في مرحلة لاحقة عليه، يمكن العودة إلى ، نورالدين ثنيو، قراءة و كتابة تاريخ الاستعمار في لحظة ما بعد الكولونيالية، المجلة العربية للعلوم السياسية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، عدد ٣٣/ شتاء ٢٠١٢، ص٥٧-٧٣ .

١٢- انظر في هذا المجال الكتاب المهم الذي يأخذ بمقاربة التاريخ الشامل لإرفي أنجليبير، العالم التاريخ، بحث في التواريخ العالمية:

Hervé Inglebert, Le monde l'histoire, essai sur les histoires universelles, (Paris: PUF, 2014).

13- G. Corm, fracture imaginaire, (Paris, La Découverte, 2005) ; l'Europe et le mythe de l'occident, la construction d'une histoire, (Paris, la Découverte, 2009).

والحقيقة أن جورج قُرم (١٩٤٠-٢٠٢٤) يصل إلى حد الإقرار بأن مسألة الشرق والعرب لم تعد ذات موضوع و لا تساعد إطلاق على فهم الطرفين لسبب واضح هو أنه " إذا كنت أرفض منذ سنوات عديدة مفهومي الشرق و الغرب، فلأن العالم كله صار غربيا" G. Corm, systèmes de perception et de saisie des conflits du moyen orient, les cahiers IRICE, (n° 14, 2015/2).

١٤- نعتقد أن الغرب سعى سواء في المرحلة الكولونيالية أو بعدها إلى تغيير رؤيته إلى الشرق وتخطى حالة الدونية والازدراء إلى موقف آخر يتسم بالاستيعاب عبر البحث العلمي ومؤسساته الأكاديمية حيث يشتغل الآلاف من العرب والمسلمين، وأن كافة الدراسات والبحوث التي تصدر عن هذه المؤسسات تتضمن جهود علماء وباحثين من الشرق من أدناه إلى أقصاه. صحيح أن بداية الاهتمام بالشرق بكامل جغرافيته وشعوبه جاء في سياق المد الاستعماري بقصد الهيمنة والسيطرة وتطور الرأسمالية الاستغلالية، لكن الصحيح أيضا، ومن الجانب العلمي، اهتمام الغرب بالشرق جاء أيضا بقصد تأصيل مناهج العلوم الاجتماعية والإنسانية ووضع المقاربات وتحديد مجالات التخصصات بالاطلاع على ثقافات وحضارات الشعوب التي انطوت على رصيد تاريخي مهدت بها إلى الحضارة الإنسانية الشاملة. فالاستشراق، بعد إعادة قراءة تاريخيه، خاصة في القرن التاسع عشر، كان له دورا عظيماً في تعريف الشرق بنفسه فضلا على تعريف الغرب بالشرق. أنظر، نورالدين ثنيو، الشرق شرق والغرب

غرب وقد إلتقيا، القدس العربي، ٢٢ يونيو ٢٠٢٢ .

١٥– من المظاهر الـتي ساهمت في كسر حاجز الاعـتراف والتفاهم، ومن ثم ساعدت على التقارب بين الفكر الغربي والعربي، ظاهرة ابن خلدون الذي كان أحد المداخل إلى المعرفـة التاريخـية الحديـثة في الغرب في سـياق وضع أسس ومبـادئ علم التاريخ وملحقـاته، وهو السياق الـذي صادف مطلع النهضـة العربية الحديـثة. وقد كانت لحظـة لقاء طه حـسين مع المستـشرقين، عام ١٩١٧، في جـامعة السـوربون حول موضوع . . .فلسفة ابن خلدون الاجتماعية" لحظة لها دلالتها في سبيل كسر الحاجز المعرفي بين العرب والغرب. أنظر، طه حسين، فلسفة ابن خلدون الاجتماعية، سلسلة المجـموعة الكـاملة، مجلد ٨، ط٢.، (بـيروت: دار الكتاب اللبـناني، ١٩٧٥)، ويمكن العـودة إلى النص الفرنسي لأطروحة طه حسين في :Taha Hussein, la philosophie soci-ale d'Ibn Khaldun, étude analytique et critique, thèse de doctorat d'université, (Paris, 1917).وأنظـر أيضا، كتـاب المستشرق الفـرنسي الذي ورد بـنفس عنوان طه حسين، Gaston Bouthoul, Ibn Khaldun, sa philosophie sociale (Paris, 1930).

16-Jack Goody, l'Orient dans l'Occident, (Paris, le découverte, 1999) ; l'Islam en Europe, Histoire, change, conflits, (Paris, La Découverte, 2006).

١٧– أنـظر، شارل عيـساوي، تغيّر الإدراك الغربي للـشرق، في : تأملات في التاريخ العربي، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩١)، ص ١٦٥–١٧٥ .

١٨– حول التطور الذي لحق الاستشراق أنظـر كتاب هاشم صالح، الاستشراق بين دعـاته ومعارضيه، ط٢.، بيروت: دار الساقي، ٢٠٠٠ . في هـذا الكتاب يورد صاحبه مجمـوعة من النصوص لمستشرقين عقَّبـوا وانتقدوا أهم أعمال بعض المفكرين العرب الـذين قدَّموا دراسـاتهم باللغات الأجـنبية، وأن أهم محطّـات التي شـهدت تغييرا في موضوع الاسـتشراق، أو رؤية الواحـد الى الآخر هما محـطة أو لحظة مقـالة المفكر المـصري أنور عبد المـالك " الاستشراق مأزومـا" عام ١٩٦٣، واللحظة الـثانية هي صـدور كتاب إدوارد سعيـد " الاستشراق" عام ١٩٨٠، ومـا اعقبه من ردود طالت العالم كله وبلغاتـه المختلفة. وتتمثل قيمة وأهمية كتاب هاشم صالح في احتوائه على نصـوص تتبادل الـنقد والتحليل وجهـا لوجه، عبَّر في العمق على مـستوى رفيع من التناول العلمي الرصين بين العرب وغيرهم.

١٩– من المبـادرات العربية التي ساهمت في اعـادة قراءة ابن خلدون في عصر ما بعد الاستعمار، ترجمة عبـد السلام الشَّدادي لمقدمة ابن خلدون، الى اللغة الفرنسية والى سلسلة لابلياد la pléiade الـدى دار نشر فلاماريون Flammarion، التي تكرس التراث العـالمي والإنسـاني أنظر،. Introduction aux livres des exemples, prés. et trad. Abdes-

selam Cheddadi,( Paris, Gallimard, coll. « Bibliothèque de la pléiade », 2002); A. Cheddadi, Ibn Khaldun, l'homme et le théoricien de la civilisation, (Paris, Gallimard, coll. « Bibliothèque des histoires » 2006)..وبـنفس القدر والأهمية قدم المؤرخ العربي الـبير حوراني سفره القّيم " تاريخ الشعوب الـعربية "، الذي أصدره باللغة الإنجليزية عام ١٩٩١، واستهله بمـدخل للتعريف بابن خلدون وفلسفته التاريخية لتوكيد على أنه مُقْدم على طريـقة تَنَاول تأتي من صلب العلم العربي ممثلا في مقدمة ابن خلدون و حياته. تُرجمَ الكتاب الى الفرنسية بعد سنتين، أنظر،

Albert Hourani, histoire des peuples arabes, (Paris: Edition du Seuil, 1993).

٢٠- نعتقد أن أفـضل سبيل الى تجاوز الـوضـع الاستعماري، على مستـوى كتابة تاريخ العرب الحديث والمعاصر هو ضرورة ادراج الحقبة الزمنية الاستعمارية ضمن تاريخ الأمة والبلد، أي استيعاب المدن والمؤسسات والإنجازات التي شيدها المستعمر في البلدان التي احتلها، فضلا على الشخصيات الـتي كانت لها بصمة مؤثرة في حياة العـرب. و اذا أخذنا على سـبيل المثال الجزائـر البلد الذي تعـرض الى احتلال فرنسي استيطاني طويل رتب لأثار عظـيمة لم تدرس لحد الآن كرصيد لتاريخ البلد بقدر ما أن التراث الاستعماري صار مـادة للرفض و التنطع و التنديـد من قبل أجيال كاملة من الطلبة و الباحثين الجزائـريين الذين لا يتناولون تاريخ الاستعمار الا من مدخل التنـديد به و لا مخرج من البحث الا معاودة التنـديد به أيضا، و يصعب على الطالب والباحث أن يبحث في مؤسسات السلطة الفرنسية في الجزائر و لا في شخصياتها و لا حتى الآلاف من الفـرنسيين الذي كانوا على طـرف مناقض و معارض للاستعمار و شاركوا في الثورة التحريرية الى جانب جبهة التحرير و جيش التحرير .

٢١- نذكـر على سبيل المثـال لا الحصر، مـقتصرين على مـا هو مكَـرَّس في البحث العلمـي، خاصة في التاريخ، حيث لا نزال نرتب القوائم الببليوغرافية لمراجع ومصادر البحث الى المراجع العربية وتُلحق بعدها بالمراجع الأجنبية حتى ولو كان الجزء الكبير من المراجع "الأجنبية" كتبه باحثـون وعلماء عرب. ولعلّ الظاهرة الخطيرة تتمثل في الكتابـة التاريخية للحقبة الاستعمارية في الجزائر وبلدان المغرب العربي بشكل عام، حيث يدرج الكُتَّاب والبـاحثون العرب الذين يكتبون بالـفرنسية في الرصيد الفرنسي، ولـيس العربي. لا بل الأجيال الجديدة من الطلـبة والقراء يعتقدون أن هؤلاء يكملون المدرسة الاستعمارية عبر كتابتهم التاريخية، فضلا على أن الحالة في الجزائر صارت معقّـدة الى حد العجز عن كتـابة موضوعـية وعلمية لتـاريخ الجزائر زمن الاحتلال باللغة العربية.

٢٢- هناك مقولة الباحث الجزائري عبد القادر جغلول، أن حالة الاستعمار الفرنسي في الجزائر ساعدت على التماس سبيل مقاومته، ولكن عبر الحوار والاتصال أيضا. ويكفي مثالا على ذلك، أن الحركة الوطنية الجزائرية قاومت السلطة الاستعمارية باللغة الفرنسية كأفضل سبيل وقناة للتفاهم وتحديد المطالب.

23- Marcel Gauchet, le désenchantement du monde, une histoire politique de la religion, (Paris : Gallimard, 1985).

٢٤- الثورات العربية التي اندلت في غير بلد عربي، مطلع العقد الثاني من القرن الواحد والعشرين، تُمَثِّل فعلا حَراكاً شعبي وجماهيري يساعد الباحث والعالم والمفكر والمثقف والمواطن العادي على إعادة النظر في كل ما يطرحه النظام العربي السلطوي. فالثورات العربية الأخيرة هي حِراكات (جمع حِراك) أمدت الإنسان العربي بالوعي اللازم لتجاوز الحالة الاستبدادية والوضع الطاغي والدكتاتورية العسكرية والسياسية. ومن ثم يمكن أن تلعب الدور المهم جدّا لمقاربة كتابة التاريخ العربي الحديث والمعاصر على نحو آخر. بعض فقرات هذا المبحث مأخوذ من مقالنا: نورالدين ثنيو، الثورات العربية.. تاريخ آخر للعرب، القدس العربي، ٢١ يونيو ٢٠١٦.

24- Alain Badiou, le réveil de l’histoire, (Paris : lignes : 2012).

وفي هذا المعنى، يمكن إدراج كتاب ورأي المفكر السويسري طارق رمضان،Tariq Ramadan, l’Islam et le réveil arabe, (Paris, Presses du Chatelet, 2011). وللمستعرب الفرنسي هنري لورانس Henry Laurence مقاربة في ذات التوجه التي ترمي إلى أن الثورات القائمة تمثل حدث "الحداثة" للعرب الذي سوف يُدْرجهم في قلب العالم، ويدفع السياسة الدولية إلى التفكير في مصير العالم ككتلة واحدة، خاصة عندما تطرح من جديد "المسألة الشرقية" ليس بالإجحاف الذي جرى في القرن التاسع عشر والعشرين، بل بمعية وفاعلية تركيا و إيران. وفي ذات السياق والموضوع ينظر أيضا الى كتاب المفكر العربي عزمي بشارة، الثورة والقابلية للثورة، (الدوحة: المركز العربي للبحوث ودراسة السياسات،٢٠١٢).